بان شرفه وكماله في العلم ... بتفاصيل ذلك والعمل بمقتضاها بالامتثال والاجتناب وانه
لا يستقل بجميع ذلك على التفصيل بل يفتقر الى بيان بعض اوصرها وعلل الافادح بالبعض
منها والالتفاء عن البعض كالمجمل الخطاب فان خلو العقل مائلة الى المحاسن بانواع القبايح
بمنزلة الخطاب وكونه دليلا على الامر والنهي اللذين هما الصواب القايم لذاته لكن اذ لا معنى
لها سوى الدعوة الى المباشرة والامتناع وكان في جعل بعض الافعال بحيث قد يحمد عاقبته فيجب
وقد يذم فيحرم كالصوم مثلا فلو لم يكن ببيان من الشارع لكان في ذلك اباحة ترك الواجب واباحة
مباشرة المحظور وهو خارج عن الحكمة فظهر بذلك الوجه وامثاله انه لابد من النبي البتة ولهذا
كان في كل عصر للعقلاء نبي او من يخلفه في اقامة الدليل السمعي وكان الغالب على المتمسكين بالشرايع
سلوك طريق الحق وسبيل النجاة والرشاد مع اشتغالهم باكتساب اسباب المعاش
وغلب الاكثر من صناع النظر وحذاق الذهن وعلى الفلاسفة المتشبثين باذيال
العقل العدول عن الصواب والوقوع في الضلال مع رجاحة عقولهم ودقة انظارهم
واقبالهم بالكلية على البحث عن المعارف الالهية والعلوم اليقينية وانت خبير بان نتايج
امثال هذا المقال توسيع مجال الاعتزال فانهم لا يعنون بالوجوب على الله تعالى سوى ان
ان تركه لقبحه مخل بالحكمة ومظنة لاستحقاق المذمة فالحق ان البعثة لطف من الله تعالى ورحمة
يحسن فعلها ولا يقبح تركها على ما هو المذهب في سائر الالطاف ولا ينبني على استحقاق
من المبعوث واجتماع اسباب وشروط فيه بل الله تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده
وهو اعلم حيث يجعل رسالته قوله وللمنكرين للنبوة شبه اه المنكرون
للنبوة منهم من قال باستحالتها ولا اعتداد لهم ومنهم من قال بعدم الاحتياج اليها كالبراهمة
ومنهم جمع من الهند اصحاب بدهام ومنهم من لم يذكر من عقايدهم كالغلاة من الفلاسفة
لاختصار الحكمي (?) الباري تعالى وعلمه بالجزئيات وظهور الملك على البشر ونزوله
من السموات ومنهم من ادعى ذلك على افعاله واقواله كالمصرين على الخلاعة وعدم المبالاة بشيء
ونفي التكاليف ودلالة المعجزات وهولاء احاد واوباش من الطوايف معينة لكونهم لا سلة (?) — لا طائفة معينة
وتحلة فالجهل للمنكرين شبه الاولى ان البعثة تتوقف على علم المبعوث بان الباعث هو الله
ولا سبيل الى ذلك والجواب المنع لجواز ان ينصب دليلا او يخلق علما ضروريا فيه الثانية
ومن البداهة ان ما جاء به النبي صلعم اما ان يكون موافقا للعقل حسنا عنده فيقبل ويفعل وان لم

بكن

يكن بل ادركنا الخالة قبيحا عنده فيرد ويترك وان جاء به النبي واياما كان لا حاجة اليه فان قيل
لعله لا يكون حسنا عند العقل ولا قبيحا قلنا فيفعل عند الحاجة لان مجرد الاحتمال لا يعارض
منجز الاصناع ويترك عند عدمها الاحتياط والجواب ان ما يوافق العقل قد يستقل بمعرفته
فيعاضده النبي ويوكده بمنزلة الادلة العقلية على مدلول واحد وما لا يستقل فيدل عليه ويرشد
وما يخالف العقل فلا يكون مع الجزم فقد يقع التي او يدفع عنه الاحتمال وما لا يدرك حسنه و
لا قبحه قد يكون حسنا يجب فعله او قبيحا يجب تركه هذا مع ان العقول متفاوتة فالتفويض
اليها مظنة التنازع والتقاتل ومفض الى اختلال النظام وان فوايد البعثة لا تنحصر في
بيان حسن الاشياء وقبحها على ما تقدم الثالثة ان السمعيات في باب البعثة من التكليف وهو
عبث لا يليق بالحكيم اذ لا يشتمل على فائدة للعبد لكونه في حقه مضرة ناجزة ومشقة
ظاهرة ولا للمعبود لتعاليه عن الاستفادة والانتفاع وايضا فيه شغل للقلب عما هو غاية
الاعمال ونهاية الكمال اعني الاستغراق في معرفته والفناء في عظمته والجواب ان مضار
الناجزة قليلة جدا بالنسبة الى منافعها الدنيوية والاخروية الظاهرة التي لا تخفى
على ظواهر الشريعة النبوية فضلا عن الكاشفين عن اسرارها الخفية واذا تأملت فالتكليف
صون في الحقيقة لا شغل عنه على ما توهمتم الرابعة ولا هي الطاعة المنهمكين في اتباع الهوى
وترك الطاعة انا نجد الشرايع مشتملة على افعال وهيئات لا يشك في ان الصانع الحكيم لا يعتبرها
ولا يامر بها كالحركات في الحج والصلوة وكغسل بعض الاعضاء لتلوث بعض آخر
الى غير ذلك من الامور الخارجة عن قانون العقل والجواب انها امور تعبدية اعتبرها الشارع
تطويعا — ابتلاء للمكلف وتذليلا لنفوسهم وتاكيدا لملكة امتثالهم الاوامر والنواهي ولعل فيها
حكما ومصالح لا يعلمها الا الله تعالى والراسخون في العلم وقد اشار اليها بعض الائمة في كتاب
اسرار الشريعة الخامسة القدح في ثبوت المعجزة ووجه دلالتها ونقلها باجوبتها وسيأتي في
قوله المبحث الى المعجزة ماخوذة من العجز المقابل للقدرة وحقيقة الاعجاز اثبات
العجز استعير لاظهاره ثم اسند مجازا الى ما هو سبب العجز وجعل اسما له فالتاء للنقل
من الوصفية الى الاسمية كما في الحقيقة وقيل للمبالغة كما في العلامة وذكر امام الحرمين بناء على
راي الاشعري ان معنا محوز الان سواستعمال العجز في عدم القدرة كالجهل في عدم العلم
وسوى الحسم ضد للقدرة وانما يتعلق بالموجود وما يقدر عليه حتى ان عجز الزمن انما هو

Copyright © King Saud University